3

أصل المعتقد في العون والمدد

م.د مهند شوقي صبري

قسم علوم القران

كلية العلوم الاسلامية

المقدمة

الحمد لله من بيده الامداد والايجاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العباد واله وصحبه اهل الخير والرشاد وبعد :

فقد كثر الحديث عن الإستعانة والمدد وطلب الاغاثة والعون حتى انها دخلت مدخلا في التكفير والعياذ بالله والانكار والتناحر دون الرجوع الى منصة الفكر النقي وبساط العلم والمعرفة ولذلك احببت ان اظهر المجال الاعتقادي في هذا الجانب من اقوال العلماء ومن خلال فهم النصوص بشكل صحيح دقيق متقن وذلك مما اجمع عليه السلف الصالح وما شذ منه الا بعض الفرق التي اتخذت اسلوبا متشددا في الفهم وجاء البحث من نقاط علمية اعتمدت فيها منهجية النقل وايضاح المشكلات والايرادات والردود ذكرت ماهية العون والمدد والمجال العقائدي في فهم العون والمدد واقوال اهل العلم في ذلك والاسس المعرفية وجزئيات الفهم ومرتكزاتها العقدية والايمانية وحدود النسب المجازية وما يترتب عليها من معان واصول وفروع ..ويبق الجهد البشري منقوصا وفوق كل ذي علم عليم والله ولي التوفيق .

اولا ماهية المدد وطلب العون والتوسل

اختلف اهل العلم في تقرير طلب المعونه والاستمداد ومن معانيه هو دفع المكروهات واستمطار المرغوبات المحبوبات وهو بلحاظ التحقق مصروف للقوة الالهية المطلقة وهناك طلب جزئي سببي كطلبنا من المعلم ان يبذل علمه ، أو من المرشد والداعية ان يربي ويعلم ، أو كطلب المريض من الطبيب للدواء ، وكل هذه وامثالها هي راجعة لله ، كما أن كل حمد من أي حامد لأي محمود على نعم الله فانه عائد الى الله ، فالله صاحب النعمة بالاصالة المطلقة وهذا معنى الحديث (وإذا استعنت فاستعن بالله)[1] ، وألا فهو تعالى أمرنا بإعانتنا لبعضنا **(وتعاونوا على البر والتقوى)**[2] والاستعانة كذلك بالأخلاق والأعمال فقال:**(واستعينوا بالصبر والصلاة)**[3] وقال ـ ﷺ ـ في صلاة الاستسقاء " اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً "[4] وقد روى البيهقي ، وأبن أبي شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر ـ ﷺ ـ فجاء بلال أبن الحارث ﷺ وكان من أصحابه ﷺ إلى قبر الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله استسق لأمتك فأنهم هلكوا . واذا بالنبي أخبره بأنهم يسقون وهنا نقرأ الحكم من خلال فعل الصحابي وهو بلال بن الحارث ﷺ في انه بمعرض الاكابر

جاء لقبر النبي ﷺ ونداءه له وطلبه لاستنزال المطر لهو دليل واضح جلي على جواز ذلك الفعل .

دون نكير او استهجان من اهل الحل والعقد من الصحابة رضي الله عنهم وروى أبن ماجة ، بصحيح السند عن بلال قال : قال ﷺ : " من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك "[5] وجاء في الاثر : أسألك بحق ممشاي هذا أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً ، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي ، أنه لا يغفر الذنوب ألا أنت .. أستغفرت له الملائكة [6] وقد اجمع السلف والخلف على هذا الدعاء والورد العظيم وجاء في معنى التوسل والوسيلة هو ماجاء على لسان سيد البشرية : " اللهم أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي "[7] . وجاء كذلك : " إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فالينادا يا عباد الله أحبسوا فأن لله عز وجل بالأرض عبداً حاضراً سيحبسه[8] . ومما جاء في حادثة الاعمى الذي اتى للنبي صلوات الله عليه وسلم فقال : أدع الله تعالى لي أن يعافيني . قال : أن شئت أخرت لك ذلك وهو خير لك وأن شئت دعوت الله تعالى قال : فأدعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين ، ويدعوا بهذا الدعاء : أللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ـ ﷺ ـ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها ، أللهم شفعه فيّ ، ففعل الرجل فقام وقد أبصر هذا[9] . ومن ذهب بالقول الى ان التأثيراً في الحياة جائز وفي الممات ممنوع فقد جانب الصواب لانه ببساطه اثبت التأثير المطلق لغير الله وهذا منافي المعتقد السليم والتوحيد الخالص بربوبية الحق .

فلا قدرة لمخلوق مع وجود قدرة الخالق وارادته واذن من الله تعالى ولا دخل للتصرف المطلق دون الله لا حي ولا ميت ، إذ التأثير لله الواحد .

ومن نظر إلى هذه الأدلة علم ان هناك تلازما جعليا كما قال اهل السنة والجماعة بين الاسباب والمسببات فكانت في القضايا المعنويه هي من قبيل الاسباب المقترنة

بمسبباتها فكان التوجه بهم والتوسل بهم سببا في حصول الخير للعباد **(وابتغوا إليه الوسيلة)**[10] أي بأي وجه مشروع غير منهى عنه . فتحقق الجواز آنذاك للمسلم أن يتشفع بالنبي ﷺ او الصالحين .

أخرج أبن السني في كتاب باب عمل اليوم والليلة في باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله ، عن أبن عباس أنه علم رجلا خدرت رجله أن يتبرك باسم محمد ﷺ ففعل الرجل فذهب خدره[11] . وأخرج أيضاً بإسناده عن أبن عمر ﷺ أنه خدرت رجله فقال : يا محمد ﷺ ، قال : فقام فكأنما نشط من عقال[12] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب .

ثانيا البعد العقدي في التوسل والوسائط :

الوسيلة : كل ما جعله الله سبباً في الخير ووصلة او حلقة وصل في زيادة الخير واتيان الخير وقضاء الحاجات عند المتوسل إليه . ولفظة الوسيلة هنام بعمومه معتبر في الآية الكريمة فهو يشمل التوسل بالذوات الفاضلة والمباركة حيا او ميتا لعلة الحرمة والمنزلة لا الحياة المجردة .

وقضية الوساطة لا تعتبر ابدا باي حال شركاً وذنبا ولم يقل به الاولون ولا يمكن ولا يجوز اعتبار كل من أتخذ بينه وبين الله واسطة انه مشرك او مذنب وألا لكانت البشرية كلها مشركة لأن أمورهم جميعاً تنبني على قانون السببية والواسطة ، فالنبي ﷺ تلقى القرآن بواسطة جبريل والله قادر ان يجعل القران دفعة واحدة في ذاته ومخيلته وقلبه ، فجبريل واسطة للنبي ﷺ ورسول الله ﷺ صار الواسطة العظمى لمن حوله ، فقد كانوا يفزعون وينشدونه كوسيلة وواسطة في الملمات في جميع احوالهم ويرتجون منه قربا ويعتقدون انه الوسيلة الكبرى لحصول الخير والمدد ويطلبون م حضرته الدعاء ويلتمسون منه البركة فلم يخبرهم وهو المشرع بان هذا الفعل منهي عنه بل اقرهم ووافقهم . ولم ينبههم بان الشكوى تلك هي حرام ومصيرها النار فهو المعلم المشرع المبلغ .

والرعيل الاول من اهل المعتقد الحق ويعلمون كل العلم أن المعطي حقيقة هو الله وأن المانع هو الله وان عطاءه بأذنه الله ورحمته وفضله ولكن اختصر الامر يقوله " والله المعطي وأنا القاسم "[13] ، والواسطة الجزئية في توصيل الخير والحاجات الى العباد لا يمكن ان نتغافل عن معانيها من خلال حديث : " من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا "[14] فالعبد يحل العقد ويفرج الكرب علما ان القادر على الفعل بذلك هو الله وحده .

وهذا واضح وجلي من ظلال مفهوم حديث : " من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فأن رجح وألا شفعت له"[15] وكذلك حديث : " من ستر مسلماً "[16] الحديث ؟ ألم يقل ﷺ : " إن لله عز وجل خلقاً يفزع إليهم في الحوائج "[17] . وكذلك : " والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه "[18] ؟ وقد جاء : " من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وتسعين حسنة "[19]

فنسب النبي الاعانة والتفريج وحصول الغوث من جهة البشر علما ان فاعلها اعتقادا وقولا واحدا هو الله وهذا ما اشار دلالة ومعنى هذه الاحاديث .

والتوسل بطلب الفعل من الرسول ﷺ أو من غيره من الأنبياء أو الأولياء : كأن يقول يا رسول أو يا سيدي فلان خلصني من هذه المشكلة المادية ، كابتلائه بالأعداء ، أو المعنوية كابتلائه بوسواس نفسية وغيرها ، فهذا الوجه من التوسل أن كان على رعاية المعنى المجازي كأن يريد المتوسل : يا رسول الله أدع لي أو أشفع لي كي أخلص من هذه المشكلة فأنه جائز ، وحصول المتوسل أليه واقع ، فكم شفى مريض بتوجهاتهم ، وكم قضيت حاجات بإرشاداتهم ، ومن أنكر ذلك فقد أنكر محسوساً .

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت الأحاديث السابقة ، لأنا لا نعتقد تأثيراً ، ولا خلقاً ، ولا إيجاداً ، ولا إعداماً ، ولا نفعاً ، ولا ضراً ، ألا الله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وكذا الأولياء

والصالحين ، لا فرق بين كونهم أحياءاً أو أمواتاً ، لأنهم لا يخلقون شيئاً ، وليس لهم تأثير في شيء ، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له[20] .

قلت : إن الله سبحانه وتعالى أعطى للخلق قابلية التأثر كل واحد منهما على قدر , من السمع , والحركة , والنظر وباقي الحواس فهذا حد استطاعتهم , وهذا على العوام .

ولكن الحق سبحانه وتعالى أعطى من عباده الصالحين قابلية تختلف عن باقي الخلق من العوام من القدرة لإكرامه إياه سبحانه وتعالى لهم , لأنهم أصبحوا في منزلة رضي الله عنهم ورضوا عنه , وإذا حصل الرضى كما يقول شيخنا الحلاب ﷺ : حصل كل شيء , ولا يفوتك أخي المسلم الحديث القدسي المتفق عليه : فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه،

ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن،

يكره الموت وأنا أكره مساءته "[21]

ثالثا الاسس المعرفية في لاستعانة:

جاء في بعض الايات مما يقرر لنا اسلوب الفهم الصحيح ومنها ما قد ذكر القرآن الكريم من ذلك ما جرى على عباده من الأنبياء والصالحين فمن ذلك : فقد أعطيَّ سيدنا داود وسليمان عليهما السلام (التصريف) قال تعالى : **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)** [22] فـ(شَيْءٍ) هنا معناه (التصرف) في الكون , وذلك لقوله تعالى في آيات أخر : **(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا**

لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)[23] وقوله تعالى : **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)**[24] وقوله تعالى : **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)**[25] وكذلك ما أعطى سبحانه وتعالى لسيدنا عيسى عليه السلام : **(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ)**[26] وهذه من الشواهد التي ثبتت فهما ومعنى ومدلولا [27].

وكذلك الذي أتى بعرش بلقيس الذي تحدث به القرآن الكريم , قال سليمان : لمن عنده من الجنّ والإنس: **(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)**[28] قال سليمان أريد أعجل من ذلك **(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)**[29] وهو صالح يعرف اسم الله الاعظم : **(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)**[30] فكان هو السبب علما الن المسبب الاعظم والحقيقي هو الله [31] .

ولا يقبل من أحد بأن يقول : هؤلاء أنبياء ورسل وصالحين قد ذكرهم القرآن الكريم وانتهى . أولاً : إن الله سبحانه وتعالى يخاطب سيد الأنبياء والرسل وأشرف الخلق جميعاً سيدنا محمد ﷺ : **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيّ)**[32] فهم بشر ولكن لهم مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى ما بين الخلق , ولا يحتاج الخوض بهذا الأمر .

ثانياً : أن القرآن الكريم , كلام الله العظيم دستور الأمة المحمدية ﷺ , ليس قصة وحديثا قد انقضى , ولكن هو عبرة نعتبر بها ونهتدي بها .

فلهذا أعطيَّ لأمة سيدنا محمد ﷺ ما أعطيَّ للأنبياء والصالحين من قبل , ومنهم صحابة رسول الله ﷺ كما ما ورد في السير فمثل ما أعطي من اسرار البركة والتصريف لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما أراد قتال أهل الردة ورأى تردد من بعض الصحابة فاخبرهم اما انا من اقاتل او الدبور , ولم يتم كلامه إلا والمسجد قد أمتلأ بالدبور ـ وهي الريح ـ وقيل بالتشديد ـ وهو كالنحل , ومؤذي, فحامت على وجوه الحاضرين حتى انفضوا من ساعتهم من المسجد)[33]

وكذلك ما جرى لسيدنا عمر أبن الخطاب ﷺ من قصة نيل مصر , وقصة سارية الجبل , وكذلك ما وقع للصحابة من السير على الماء وغير ذلك كثير .

ولم ينكر ذلك العلماء على مر القرون عندما كان الحكم على الكتاب والسنة والأمر قائم بين أيديهم وسرا ذلك إلى يومنا هذا حتى ظهور الفرق المتشددة والمتنطعة .

وجاء في الاثر: («سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» , وفي رواية : خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون)[34] .

رابعا الموت والحياة وصلتها الاستعانة والمدد:

اشارة الى بعض ما قد يرد في كون ان الحي والميت لهما احكام تخص هذا الجانب فمن ناحية من تقول يجوز للأحياء , وليس للأموات فهنا اشكالية عقدية فقد وقعوا في الكفر وهم لا يشعرون وكما ذكر سابقاً , وكذلك نقول : لم يكن هناك فاعلاً ومؤثراً حقيقياً من الخلق جميعاً إلا وهو من الله سبحانه وتعالى .

ومن ثم نقول : بل العكس من ذلك , الميت : فاعليته أقوى من الحي , لأن الميت هو الحي الحقيقي فاسمع قول الله تعالى : **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين)**[35] فمعنى (اليقين) : الموت، إذا جاءه الموت، جاءه تصديق ما قال الله له، وحدّثه من أمر الآخرة[36].

وبهذا قال الرسول ﷺ لأحد الصحابة عندما مات : " أَمَّا هُوَ فَقَدْ عايَنَ اليَقِينَ " . وبهذ يقول الحق سبحانه وتعالى : (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)[37] تجلت له بالعيان لتزول الغفلة [38].

وكان النبي ينادي اهل القليب بعد بدر فإذا كان هذا حال المشركون والكافرون من سماع بعد الموت , فكيف يكون حال الأنبياء والمؤمنين والصالحين , وهم عند ربهم سبحانه وتعالى يتنعمون .

وأصبحنا في هذا الصدد نعتقد بقدرة الإنسان الذي صنع آلات التلفونات على اختلافها ويمكن الاتصال بها إلى أبعد ما يكون من المسافات البعيدة , وفي نفس الوقت نقول : من الذي علم ذلك الإنسان ودبر أمره ؟ أليس الله الخالق , ومن ناحية نشكك بقدرة القادر ما يجري على أنبيائه , وأولياءه , وعباده المؤمنين من خوارق العادات وهو سبحانه قد حدثنا في كتابه الكريم ما أكرمهم بذلك وقد ذكرنا من بعض ذلك , وهو كله من الله سبحانه وتعالى .

والمعنى هنا هل يجوز أن أقول للحي مدد يا فلان أو أغثني يا فلان ؟

والجواب : نعم يجوز ذلك لأن الاستعانة والاستغاثة هو طلب ببساطة طلب العون المادي من الحي فإذا قصد المعنوي من دعاء وما شاكل فلا مانع لا عقلا ولا نقلا

وأما من يمنع ذلك ويستدل بقوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) وبقوله ﷺ بابن عباس : (وإذا استعنت فاستعن بالله)

فالجواب عنه : أن الإعانة تكون حقيقة ومجازية فالمعونه الاصيلة المطلقة من الله اما طلبها من غير الله فتحمل على التجوز لانه السبب والوسيلة والسبب .

أما الميت فتبيان المعتقد السليم أنه لا يتمكن من الإمداد والإغاثة المادية فيكون طلب ذلك منه طلباً معنوياً لا غير ومن اعتقد بان هناك تاثيرا للحي فهو شرك وخلاف التوحيد والعياذ بالله ، وأن عنى بذلك التشفع به إلى الله أي يعتقد أن الله هو سيغيثه ويمده أكراماً لهذا الولي لا يكون كفراً . وكذا لو قال : أردت أن يدعو لي الميت من الله بالمدد والإغاثة .

وهل يجوز أن انادي وأقول يا فلان أدع الله لي بكذا وهل نداء الميت حرام أو شرك ؟ :وهنا يجب ان نعرف ان نداء الميت ليس شركاً لان نداء الميت ليست دعاء طلب الدعاء من الميت بما أن طلب الدعاء من الغير وارد فيجوز ذلك في البرزخ فقد ثبت أن الميت يسمع ، ويعرف زائره ، ويتكلم في البرزخ ـ إذ قد ثبت في السنة ـ أن النبي ﷺ يستغفر للأمة وهو في قبره وأن الأموات يتكلمون ويسمعون[39]

خامسا النسب المعرفية بين فعل الله التام وفعل العبد الجزئي

من اهم النقاط المعرفية التي يجب ان تعرف لتكون مفتاحا معرفيا لمفهوم المدد والاستعانة وهي نسبة الحقيقة والمجاز فتعريف الحقيقة هو ذلك المعنى المعمول به فيما وضع له أولاً

والمجاز هو المعنى المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي ، والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي بها يتضح المعنى ، وشغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام ، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ والمعاني الزاخرة [40] .

والمقصود والشاهد هنا هو النوع الاعظم الاهم وهو المجاز العقلي ، ويسمى الإسناد الحكمي ، وهو من اروع اساليب اللغة وهو إسناد الفعل للاشياء .

ولقد جاء المجاز العقلي ليحقق معان عظمى تتبنى عليها احكاما عقائدية عديدة فقد ورد ذلك في مواطن كثيرة من القرآن الكريم

فعند قوله تعالى : ((وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً))[41] .

يعتقد المسلم بان من يزيد في الإيمان هو الله ولكن الله أسند الزيادة للآيات الكريمات على طريقة المجاز العقلي ، لأنها سبب في الزيادة .

وفي اية اخرى نسب الفعل لغير نفسه فقال : ((يوماً يجعل الولدان شيباً))[42] فإسناد الفعل لليوم مجاز عقلي لأنه يحدث في ذلك اليوم .

وفي مسألة الهداية يعلمنا الله أنه هو الهادي : ((ولكن الله يهدي من يشاء))[43] فهو خالق الهداية وموجدها ، وخلق الهداية خاص ولهذا نفاه عن نبيه بقوله : ((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء))[44] .

وقد تستند الهداية على طريقة المجاز إلى غيره فتكون بمعنى مغاير للمعنى الأول وهو أنه سبب لإيصال الهداية ومن تلك الأسباب القرآن : ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم))[45] ، ومن أعظم أسباب الهداية الحبيب ﷺ: ((وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم))[46]

وكذلك الملائكة جعل الله لهم أعمالاً وأفعالاً منها قول الله : ((قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم))[47] ، لكن هذه النســـبة مجازية وإلا الذي يميت هو الله : ((الله يتوفى الأنفس حين موتها))[48] .

ومنه قوله تعالى : ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى))[49] ، فأخبر الله تعالى أنه رمى وأن نبيه رمى ، فأثبت تعالى لنبيه الرمي ، ونفاه عنه معاً ، وكلام الله عز وجل لا يتناقض ، فعلمنا أن الرمي الذي نفاه الله عز وجل عن النبي ﷺ هو غير الرمي الذي أثبته له فله نسبة الخلق وهي حركة الرمي وسير الرمي ومُضيها ، وللنبي ﷺ نسبة ظهور حركة الرمي .

وهكذا في قوله تعالى : ((فإذا قرأناه فاتبعه قرآنه))[50] ، مع أن القارئ كان جبريل وغيرها الكثير من الآيات التي لا توجب الشركة لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فإسناد الفعل لله على سبيل الاختراع والإيجاد ، وإسناد الفعل للعبد تبعاً لكونه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة ، بعد أن خلق فيه العلم ، فارتباط القدرة بالإرادة ، والحركة بالقدرة ارتباط المعلول بالعلة ، وهذا ما ذهب اليه ائمة اهل الكلام [51]

المطلب الخامس الاثار المترتبة عقائديا في نسبة الفعل والايجاد

إن من المعلوم في الجانب العقدي أن الايمان الكامل يقتضي اسناد الفعل لموجده ، ويبق السؤال عن الدهة والذات التي يتمكز حولها اسناد الفعل

فذهب المتكلمون بالقول انه إذا نسب الفعل لغير فاعله نحو الماء رواني ، وأعتقد أن الماء هو المؤثر الفاعل للإرواء فإن هذا الاعتقاد غير صحيح أبداً .

أما إذا نسب الفعل إلى سببه نحو : الماء رواني ، والطبيب شفاني ،وأراد بذلك ان الله رواني بوساطة هذا السبب وهو الماء وشفاني بوساطة هذا السبب وهو الدواء ، فإن هذا محمول على المجاز العقلي من باب السـبب وهذا مما روي بالجواز المطلق وهي من المسائل التي تدرك ببساطة القرينة التي اورثها العبد بتوحيده فلا خلط مطلقا بين مقام الله ومقام العبد ، فالقائل أغث يا رسول الله أو أمددني يا رسول الله ، او من

طلب الاســـتعانة فهو في ظلال معاني المجاز العقلي وهذا مثال في توجيه الفهم الســـليم من خلال هذه الاية ((أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين))[52] فخالق الرزق وموجده هو الله ، وقد أفادت الجملة الاسمية المؤكدة بتعريف الطرفين ، حصر الرزق فيه على الاطلاق ، لكن الواسطة والطريقة التي توصل المال لأصحابه وأهله سماه الله تعالى رازقاً وذلك في قوله تعالى : ((فارزقوهم منه))[53] فلما كان إيصـــال المال بســببهم ، بواســطتهم أســند إليهم الرزق مجازاً لا حقيقةً لأنهم أســباب ، وهكذا هي الاستغاثة والاستمداد فهي من قبيل الفهم في ذلك الخط المعرفي.. [54] .

ومن جهة اخرى نرى ان الصـــحابة رضـــي الله عنهم حينما قصـــدوا النبي ﷺ لم يقصــدوه بأنه الموجد المخترع بل أنه الســبب لا غير ، فهذا يشــكو النســيان ، وذلك ســالت عينه وغيرها من الأمور التي ثبتت في المصــنفات والكتب ولو كانت ممنوعة لما أقرها ﷺ .

والنصوص التي تنطق بأن الصحابة كانوا يستغيثون برسول الله عليه الصلاة والسلام كثيرة ولا يقال أن طلبهم مما لا يقدر عليه إلا الله ، لأن القرآن حدثنا بأن ســـليمان طلب من أهل مجلســه مما لا يقدر عليه إلا الله ((يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشــها قبل أن يأتوني مســلمين))[55] فهل نعتبر ســليمان خارج عن العقيدة الســليمة وكذلك تعالى على لسان إبراهيم في حق الأصنام : ((أنهن أضللن كثيراً))[56] والله يقول : ((قل أن يضــل من يشــاء ويهدي إليه من أناب))[57] ، فهذه من المشــاهد والشــواهد التي لابد من معرفتها لتكون تلك المســـالة واضـــحة البيان وواضـــحة المعنى لانها منصــة فكرية تبنى عليها عشرات الجزئيات العلمية في هذا الباب .. والله ولي النعمة والتوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

ملخص البحث

من المسائل التي كثر الجهل في مضامينها ومعانيها هي مسالة حدود الكفر والايمان في تحقيق معنى الاستعانة والاستمداد والاستغاثة والتي كثر الحديث والبحث في الاطر

العامة فيها فاردت ان اسلط الضوء في مضامينها وعلى اصولها الجزئية والكلية في معلم اصولي مفصل ومبينا من اقوال العلماء ومن خلال الفهم الوسطي الممنهج النصوص التي تشكل خطرا عظيما ان لم نحسن التعاطي من اصول فهمها بشكل دقيق ومتقن واوضحت فيه من خلال النقل من المصادر الاصيلة ما ورد من اشكالات وكذلك ايرادات فكرية ووضعت الحلول والاجوبة المناسبة لها وبينت حدود الكفر والايمان واسلوب فهم معاني المدد والعون في سياق النص .

our Master Mohammed and his family and companions.

---

(1) سنن الترمذي : 4 / 667 .

(2) سورة المائدة : الآية : 2.

(3) سورة البقرة : الآية 45 .

(4) سنن أبي داود : 1 / 303 , وسنن أبن ماجة : 1 / 404 , ومسند أحمد : 603/29 .

(5) سنن أبن ماجة : 1/ 256, مصنف أبن أبي شيبة : 6/ 25, مسند أحمد : 248/17 .

(6) سنن أبن ماجة : 1/ 256, مصنف أبن أبي شيبة : 6/ 25, مسند أحمد : 248/17 .

(7) المجم الأوسط للطبراني : 1/ 67, والمعجم الكبير للطبراني : 351/24, وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء : 3/ 121 .

(8) عمل اليوم والليلة لأبن السني : ص : 455.

(9) وذكره أبن السني في عمل اليوم والليلة : ص : 581 .

(10) سورة المائدة : الآية : 35 .

(11) عمل اليوم والليلة لأبن السني : ص : 141 .

(12) عمل اليوم والليلة لأبن السني : ص : 141.

(13) صحيح البخاري : 4/ 85 .

(14) صحيح البخاري : 3/ 128 , وصحيح مسلم : 4/ 1817 .

(15) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : 353/6 .

(16) سنن أبن ماجة : 2/ 850 , ومسند أحمد : 158/28 .

(17) مكارم الأخلاق للطبراني : 1/ 341, ترتيب الأمالي الخميسية للشجيري : 2/ 242 .
(18) صحيح مسلم : 4074/4 .
(19) مسند البزار : 40/14, ومسند أبويعلى :255/7, والبهيقي في شعب الأيمان : 122/10 .
(20) المدرس ، الشيخ عبد الكريم محمد المعروف بـ(بيارة) ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ط1 ، عني بنشره محمد علي القره داغي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد . 1986م) ج1ص76 وما بعدها ، الحسني ، السيد محمد بن علوي المالكي ، مفاهيم يجب أن تصحح ، ط1 ، المكتبة العلمية ، (بيروت . 2002م) ص90 وما بعدها ، المدرس ، الشيخ عبد الكريم محمد بيارة ، نور الأسلام ، دار المثنى للطباعة والنشر ، (بغداد . 1984م) ، ص 99 وما بعدها .

(21) صحيح البخاري :8/ 105 .
(22) سورة النمل : الآية : 16.
(23) سورة ص : الآيات :36إلى 39 .
(24) سورة النمل : الآية : 17 .
(25) سورة النمل : الآية : 18 .
(26) سورة البقرة : الآية : 253 .
(27) تفسير الطبري : 2/ 319 .
(28) سورة النمل : الآية : 39 .
(29) سورة النمل : الآية : 40 .
(30) سورة النمل : الآية : 40 .
(31) تفسير الطبري : 19/ 461. .
(32) سورة الكهف : الآية : 110.
(33) بهجة النفوس لأبن جمرة الأندلسي : 1 / 719 .
(34) صحيح مسلم : 1 / 12 , ومسند أحمد : 14/ 19 , وبهجت النفوس لأبن جمرة : 2/ 124.
(35) سورة الحجر : الآية : 99 .
(36) تفسير الطبري : 17/ 160.
(37) سورة ق : الآية : 21.

[38] تفسير الطبري :22/ 350.

[39] السعدي ، الشيخ الدكتور عبد الملك عبد الرحمن ، البدعة في المفهوم الإسلامي الدقيق ، ط1 ، دار الأنبار ، مطبعة النواعير ، (الرمادي ـ 1992م) . ص52 وما بعدها .

[40] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ص 231 .

[41] سورة الأنفال ، الآية : 2 .

[42] سورة المزمل ، الآية : 17 .

[43] سورة القصص ، الآية : 56 .

[44] سورة القصص ، الآية 56 .

[45] سورة الإسراء ، الآية : 9 .

[46] سورة الشورى ، الآية : 52 .

[47] سورة السجدة ، الآية : 11 .

[48] سورة الزمر ، الآية : 42 .

[49] سورة الأنفال ، الآية : 17 .

[50] سورة القيامة ، الآية : .

[51] ينظر: الملل والنحل ، للشهرستاني : / 76 ، / 77 .

ينظر: مفاهيم يجب أن تصـــحح ، للشـــيخ محمد العلوي المالكي ، دار الفجر ، أبو ظبي ، ص 87 .

[52] سورة الذاريات ، الآية : 52 .

[53] سورة النساء ، الآية : 8 .

[54] ينظر شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، لخادم السنة الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني .مطبعة البابي الحلبي واولاده بمصر ط2 سنة 1955 (ص 114) .

[55] سورة النمل ، الآية : 38 .

[56] سورة إبراهيم ، الآية : 36 .

[57] سورة الرعد ، الآية : 27 .